مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies – Kabul University

التفسير قبل الإمام الطبري رحمه الله

الملخص: هذا بحث موجز حول التفسير، يتركز على المسار التاريخي والمنهجي لعلم التفسير قبل الإمام الطبري –رحمه الله–؛ حيث تحدث عن نشأة التفسير وتاريخه بدءاً من زمن النبي – صلى الله عليه وسلم–، ومروراً بزمن الصحابة والتابعين، وبيّن القضايا المهمة في هذا المجال مثل تفسير الصحابة –رضي الله عنهم– وأهميته، ومصادره، ومميزاته، وهكذا تفسير التابعين –رضي الله عنهم– وأهميته ومصادره ومميزاته، ثم بيان كيفية تدوين التفسير في هذه المراحل. وتكلم عن أوّل من دوّن التفسير، وإن كان معرفة ذلك أمر شاق؛ لأن ما بأيدينا من المعلومات لا تسعف بأن نجزم بذلك، ثم انتقل البحث إلى مرحلة التفسير من مجرد جمع وسرد الروايات وشرح بعض الألفاظ إلى التفسير النقدي أو الأثري النظري التي سار عليها ابن جرير الطبري –رحمه الله–، لكن الطريقة نفسها تتشكل في تفسير يحيى بن سلام الذي يعتبر مؤسس هذه الطريقة كما صرح به ابن عاشور، ويشهد الواقع أن تفسيره لبنة أساس لتفسير الطبري. ومن ثمّ يتناول البحث تفسير الطبري من عدة نواحي؛ حيث يتم التعريف بشخصية الإمام الطبري وتفسيره، وبيان خصائصه، كما تمت المقارنة في آخر المقالة بين تفسير الطبري والتفاسير الأخرى قبله. والمنهج الذي سار عليه البحث هو المنهج التاريخي، التحليلي والمقارن؛ حيث تمّ جمع المعلومات من أمهات الكتب وتمّ تحليله، ثم إجراء المقارنة بين تفسير الطبري والتفاسير التي سبقته.

الكلمات المفتاحية: التابعين، التفسير، التدوين، الصحابة، الطبري، يحيى بن سلام

الباحثان:

لدكتور نصر من الله مجاهد، الأستاذ المساعد ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن كلية الشريعة جامعة كابل.

الإيميل: Dr. Nasrumminallah Mujahid

الأستاذ ننگيالى قادرى، محاضر بقسم التفسير وعلوم القرآن كلية الشريعة جامعة كابل.

الإيميل: nangyalai20.23@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال : (١٩ /٢/ ١٤٤٦)

تاريخ الإصلاح: (١٤٤٦/٢/٢٩)

تاريخ القبول: (١٤٤٦/٣/١٠)

Al-Tafsir before Imam Al-Tabari (*May Allah have Mercy on Him*)

ABSTRACT: This research examines the historical and methodological development of Quranic exegesis (tafsir) before Imam al-Tabari. Through the Companions and Followers, it traces tafsir's origins from Prophet Muhammad's (PBUH) time, highlighting key aspects such as their interpretative methods, sources, and characteristics. The study explores the documentation of tafsir in these stages and addresses the challenge of identifying the first recorded tafsir, acknowledging the limitations of available historical information. The research then analyzes the transition from a mere compilation of traditions and lexical explanations to the critical or traditional-theoretical interpretation adopted by Ibn Jarir al-Tabari. It emphasizes that this approach was initially formulated by Yahya ibn Salam, whom Ibn Ashour considers the founder of this method, noting that ibn Salam's work serves as a foundation for al-Tabari's exegesis. The study examines al-Tabari's interpretation, introducing his personality and tafsir's features. It concludes with a comparison between al-Tabari's work and preceding interpretations. Methodologically, this research employs historical, analytical, and comparative approaches. Information was gathered from primary sources, analyzed, and used to compare al-Tabari's interpretation with its predecessors, offering a comprehensive view of tafsir's development.

Keywords: Al-Tabari, Codification, Companions, Followers, Interpretation, Yahya bin Salam

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين و الصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا وحبيبنا محمد النبي الأمين، و على آله وأصحابه أجمعين. وبعد: فإنّ أجلّ ما بأيدي هذه الأمة كتاب ربّها الناطق بمصالح دينها ودنياها، الواصف لها أولاها وعقباها وأفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وأفنوا فيه الأعمار، وكدّ فيه أصحاب القرائح والحجى هو كتاب الله تعالى، إذ فيه العلم الذي تعقد عليه الخناصر وتفنى في تدوينه الأقلام والمحابر، ولا يرتوي واردوه.

ومن أجلّ العلوم التي تتعلق بهذا الكتاب العظيم هو علم التفسير الذي هو بيان مراد الله تعالى من كتابه العظيم، ولما كان الأمر كذلك، كان الكلام عن هذا العلم من الأهمية بمكان، سيما المراحل الأولى منه التي تدور حول تفسير النبي –صلى الله عليه وسلم–، والصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء، وأيضًا كان الكلام عن أولى مراحل تدوين هذا العلم وسير تدوينه ذو أهمية بالغة كي يعلم القارئ تطور هذا العلم الشريف ويعرف مدى اهتمام العلماء السابقين بهذا العلم حتى إن اللبنة الأولى في تدوين هذا العلم تصل إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري التي تتمثل في تفاسير سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر والحسن البصري –رحمهم الله– ثم تتابع التأليف في هذا العلم إلى أن جاء الإمام الطبري وألّف كتابه الفريد الذي قال عنه النووي: "أجمعت الأُمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبرى".

أسئلة البحث:

بناءً على موضوع البحث يتحدد السؤال الرئيس التالي:

- كيف كان حال التفسير قبل الإمام الطبري؟ وما المراحل التي مرّ بها التفسير؟

و يتفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى:

- كيف كان التفسير في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين؟
- ما مراحل تدوين التفسير ومن أول من ألّف في التفسير؟
- كيف كانت مناهج المفسرين قبل الإمام الطبري؟
- من هو الإمام الطبري و ما ميزات تفسيره؟

أهمية البحث:

تتلخص أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

- يلقي الضوء على علم التفسير في مراحله الأولى.
- يبين سير التدوين في التفسير و يكشف عن المؤلفات الأولية في التفسير.
- يعرّف مدى تأثر الإمام الطبري بمن سبقه من أئمة التفسير.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- بيان السرد التاريخي للتفسير من عصر النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى عصر الإمام الطبري.
- كشف المنهج المتبع للكتب المدونة في التفسير قبل الإمام الطبري.

الدراسات السابقة:

بعد عناء التتبع والاستقراء حول محتويات هذا الموضوع لم نجد من تعرض له من جميع أبعاده، إلا أن هناك من ذكر بعضاً من جوانب هذا الموضوع ضمن مؤلفاتهم ومقالاتهم، ومن هؤلاء ما يلي:

- الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه المعروف: (التفسير والمفسرون).
- الدكتور فضل حسن عباس في كتابه: (التفسير والمفسرون).
- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه: (التفسير ورجاله).
- الدكتور فهد الرومي في كتابه: (دراسات في تاريخ التفسير).

ومن المقالات العلمية التي تطرقت إلى هذا الموضوع أو ذكرت بعض جوانبه:

- لمحات عن المدونات الأولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، للدكتور عبد الرزاق إسماعيل هرماس.
- البحث المقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية تحت عنوان: نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوره، للدكتورة فريدة زمرد، المنشورة على صفحة مركز تفسير للدراسات القرآنية في ٣٨ صفحة.
- والمقالة الأخرى تحت عنوان: أضواء على تدوين التفسير خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، للدكتور إسماعيل هرماس أيضاً، المنشورة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب العربي.

وهذه الكتب والمقالات كلها لم تستوعب الموضوع الذي نحن بصدده في هذه المقالة العلمية.

منهج البحث:

المنهج الذي سرنا عليه في إعداد هذه المقالة هو المنهج التاريخي، التحليلي والمقارن؛ حيث استقرأنا قدر المستطاع ما يتعلق بالتفسير من المفسرين ومؤلفاتهم قبل الإمام الطبري ثم قمنا بتحليل تلك المعلومات التي جمعناها من كتب العلماء وأخيراً قمنا بمقارنة تفسير الطبري –رحمه الله– بالتفاسير التي سبقه وخاصة تفسير يحيى بن سلام.

خطة البحث:

وقد قسمنا هذا البحث إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التفسير.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الطبري وتفسيره.

المبحث الثالث: مراحل التفسير قبل الإمام الطبري.

١. التفسير في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم–
٢. التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم.
٣. التفسير في عهد التابعين.
٤. التفسير في عهد التدوين.

المبحث الرابع: المقارنة الوجيزة بين تفسير الطبري وبين ما سبقه من تفاسير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والمقترحات.

المبحث الأول: مفهوم التفسير:

١– التفسير لغة:

التفسير في اللغة ياتي بمعني الإبانة، و الإيضاح، والتبيين. قال ابن فارس: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسر يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه[١].

وقال في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى، ونظر الطبيب إلى الماء كالتفسرة[٢].

و استعملت هذه الكلمة في القرآن الكريم بهذا المعنى مرة واحدة و ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[٣]، وهناك اختلاف كثير حول أصل هذا اللفظ وهل هو مقلوب من السفر أم لا؟ أعرضنا عن ذكرها رعايةً للاختصار.

٢– التفسير في الاصطلاح:

عرّف العلماء التفسير في الاصطلاح بتعاريف مختلفة، فمنهم من عرفه بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك "[٤].

---

١ – ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ١٩٧٩م، مقاييس اللغة، ط١ ، بيروت لبنان: دار الفكر العربي. ٤ : ٥٠٤.

٢ – الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ٢٠٠٥ م، القاموس المحيط، ط٨، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص: ٥٨٧.

٣ – الفرقان: ٣٣.

٤ – أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، ٢٠٠٠، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر – بيروت، ١ : ٢٦.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التفسير في الاصطلاح: علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.[١]

ولعل الراجح منها ما ذكره الزركشي في البرهان بأنه : "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه "[٢].

ويتميز هذا التعريف بدقة الألفاظ وقلّتها، ودلالتها على العملية التفسيرية في شكلها الإجمالي، مع التداخل بين الفهم وبيان المعاني، ويقصد بالفهم شرح الألفاظ على نهج التفسير التحليلي، وإلا فإن الفهم أوسع من بيان المعاني فهو يشملها ويشمل استخراج الأحكام والحكم.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام الطبري وتفسيره:

يعتبر تفسير الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله– من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يُعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير بالرأي؛ لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق.

التعريف بالإمام الطبري:

اسمه، ونسبه، ونشأته، ووفاته:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، من مشاهير المؤرخين والمفسرين والفقهاء وأئمة الحديث، ولد في آمل طبرستان، وبها نشأ وحفظ القرآن صغيراً، ثم رحل في طلب العلم، فسمع بالريّ وبغداد، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، وعاد، فاستوطن بغداد [٣].

قال الإمام الذهبي عنه: الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان.

---

١ – السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ١٩٧٤ م، الإتقان في علوم القرآن، ط١ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٤: ١٩٤.

٢ – الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، ١٩٥٧ م، البرهان في علوم القرآن، ط١ بيروت لبنان: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١: ٣١.

٣ – انظر: الأدنوي، أحمد بن محمد الأدنه وي، ١٤١٧هـ، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط١، ص: ٤٩.

مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله[١].

وفاته: قال الخطيب البغدادي: مات محمد بن جرير الطبري يوم السبت بالعشي، ودفن يوم الأحد بالغداة في داره لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاث مائة[٢].

ثناء العلماء عليه:

قال الخطيب: كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور " في تاريخ الأمم والملوك"، وكتاب في " التفسير" لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه " تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء[٣].

وقال الذهبي: كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه، والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك[٤].

تفسير الطبري ومنهجه فيه:

لو أننا تتبعنا ما قاله العلماء في تفسير ابن جرير، لوجدنا أن الباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قدره وعلو قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا غِنَى عنه لطالب التفسيره. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تم من كتب محمد بن جرير كتاب (التفسير) الذي لو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل ٦. قال الخطيب : قال أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا[٧].

---

١ – الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ١٩٨٥، سير أعلام النبلاء، ط٣ ، مؤسسة الرسالة، ١٤: ٢٦٧.

٢ – الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ٢٠٠٢ م، تاريخ بغداد، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي. ٢ :٥٤٨.

٣ – الخطيب البغدادي، المرجع السابق، ٢ :٤٨.

٤ – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤ :٢٧٠.

٥ – الذهبي، التفسير والمفسرون، ١ :١٤٩.

٦ – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤ :٢٧٣.

٧ – الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢ :٤٨.

وقال النووى: "أجمعت الأُمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبرى"[١]. وقال ابن تيمية: وأما " التفاسير " التي في أيدي الناس فأصحها " تفسير محمد بن جرير الطبري " فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي[٢].

منهج ابن جرير في تفسيره وميزة تفسيره:

تتجلَّى طريقة ابن جرير في تفسيره بكل وضوح إذا نحن قرأنا فيه وقطعنا في القراءة شوطاً بعيداً، فأول ما نشاهده، أنه إذا أراد أن يفسِّر الآية من القرآن يقول: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا" ثم يفسِّر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده عن الصحابة والتابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في تفسير الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد لكل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين.

ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحاجة إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام الفقهية التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار.[٣]

قال السيوطي: "وكتابه – يعني تفسير محمد بن جرير – أجَّل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين".[٤]

المبحث الثالث: مراحل التفسير قبل الإمام الطبري:

أولاً: التفسير في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل و إنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه وأن يكون كتابه بلسانهم، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }[٥]. وظهر محمد –صلى الله عليه وسلم– في جزيرة العرب وأنزل الله عليه القرآن بلسان قومه عربي مبين. قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون} [٦] و قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) }[٧].

---

١ – الذهبي، التفسير والمفسرون، ١ :١٤٩

٢ – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٣ :٣٨٥.

٣ – الذهبي، التفسير والمفسرون، ١: ١٥١.

٤ – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤ :٢٤٢.

٥ – سورة إبراهيم: ٤.

٦ – سورة يوسف: ٢.

٧ – سورة الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥.

وكان القوم عرباً خلصاً يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية و البلاغية فضلاً عن معانيه، و لذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك منه ما يوقفه على إعجازه فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى فإن اشكل عليهم لفظ ولم يجدوا من يفسره لهم سألوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– فبيّنه لهم.

و لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم يطنب في تفسير الآيه أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه ، فكان جلّ تفسيره –صلى الله عليه وسلم– بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه و ما إلى ذلك.

نماذج من تفسير النبي صلي الله عليه وسلم للقرآن:

من نماذج تفسير النبي –صلى الله عليه وسلم– ما أخرجه البخاري و مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}[١] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[٢].

هنا نرى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– فسر الظلم الذي جاء في الآية الكريمة بالشرك. كما فسر الحساب اليسير الوارد في الآية الكريمه بالعرض على ما روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: حِسَابًا يَسِيرًا؟ قَالَ: «ذَاكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»[٤].

ولو رجعنا إلى كتب التفسير وخاصة كتب التفسير بالمأثور لوجدنا لتفسير الرسول –صلى الله عليه وسلم– أمثلة كثيرة، وفيما ذكرنا من النموذجين كفاية.

ثانياً: التفسير في عهد الصحابة –رضي الله عنهم–:

ذكرنا آنفاً أن الصحابة –رضي الله عنهم– كانو عربا خلصاً يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميه بمقتضي سليقتهم العربية فهماً لا تعكره عجمة ولا يشوهه شيء من قبح الابتداع وتحكم العقيدة الزائفة.

---

[١] – سورة الأنعام: ٨٢.

٢ سورة لقمان: ١٣.

٣ – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}، النساء: ١٢٥، رقم الحديث: (٣٣٦٠)، 4: ١٤١، ومسلم، صحيح مسلم، – واللفظ له –كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان و إخلاصه، رقم الحديث: (١٩٧)، 1: ١١٤.

٤ – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها، باب اثبات الحساب، رقم الحديث: (٢٨٧٦)، 4: ٢٢٠٤.

ومع ذلك لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لآخرين منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْر في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها [١].

ومما يشهد لهذا ، ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}[٢] فَقَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ.[٣]

وما أخرجه أبو عبيدة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا[٤].

فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى "الأَبّ"، وابن عباس – وهو ترجمان القرآن – لا يظهر له معنى "فاطر" إلا بعد سماعها من غيره، فكيف شأن غيرهما من الصحابة؟ لا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية، فيكفيهم – مثلاً – أن يعلموا من قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبّاً} أنه تعداد للنِعمَ التي أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلاً ما دام المراد واضحاً جلياً.

أشهر المفسرين من الصحابة:

قال السيوطي في الإتقان: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير[٥].

وهناك مَن تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء: كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعائشة، –رضي الله عنهم– غير أن ما نُقِل عنهم في التفسير قليل جداً، ولم يكن لهم من الشهرة بالقول في القرآن ما كان للعشرة المذكورين آنفاً، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قِلَّة وكثرة، فأبو بكر وعمر وعثمان —رضي الله عنهم– لم يَرد عنهم في التفسير إلا النزر اليسير، ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم وفاتهم، واشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات، أضف إلى ذلك وجودهم في وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله، واقفون على أسراره، عارفون بمعانيه وأحكامه، مكتملة فيهم خصائص العروبة، مما جعل الحاجة إلى الرجوع إليهم في التفسير غير كبيرة.

---

١ – الذهبي، محمد السيد حسين، (د.ت)، التفسير و المفسرون، ط١ ، القاهرة مصر: مكتبة وهبة، ١ :٢٩.

٢ – عبس: ٣١.

٣ – ابو عبيد قاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، ١٩٩٥، فضائل القرآن، ط ١، بيروت لبنان: دار ابن كثير، ص: ٣٧٥.

٤ – قاسم بن سلام، فضائل القرآن ص: ٣٤٥.

٥ – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٤ : ٢٣٣ .

أما عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–، فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير، والسبب في ذلك راجع إلى تفرغه للعلم مدة طويلة، دامت إلى نهاية خلافة عثمان –رضي الله عنه–، وتأخر وفاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى مَن يُفسِّر لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن، وذلك ناشئ من اتساع رقعة الإسلام، ودخول كثير من الأعاجم في دين الله، مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية، وكذلك كثرت الرواية في التفسير عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، –رضي الله عنهم– لحاجة الناس إليهم، ولصفات عامة مكَّنت لهم[١].

مصادر التفسير في عهد الصحابة:

كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على أربعة مصادر:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: النبي –صلى الله عليه وسلم–.

الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط، ويدخل في ذلك براعتهم في اللغة وعلومها وشعرها.

الرابع: أهل الكتاب من اليهود والنصارى[٢].

مميزات التفسير في هذه المرحلة:

يمتاز التفسير في هذه المرحلة بالمميزات الآتية:

أولاً: لم يُفَسَّر القرآن جميعه، وإنما فُسِّر بعض منه، وهو ما غمض فهمه وهذا الغموض كان يزداد كلما بَعُد الناس عن عصر النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة، فكان التفسير يتزايد تبعاً لتزايد هذا الغموض، إلى أن تم تفسير آيات القرآن جميعها.

ثانياً: قِلَّة الاختلاف بينهم في فهم معانيه.

ثالثاً: كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنى الإجمالي، ولا يُلزمون أنفسهم بتفهم معانيه على وجه التفصيل.

رابعاً: الاقتصار على توضيح المعنى اللُّغوي الذي فهموه بأخصر لفظ، مثل قولهم: {غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ} [المائدة: ٣] .. أى غير متعرض لمعصية.

خامساً: ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعدم وجود الانتصار للمذاهب الفقهية بما جاء في كتاب الله، نظراً لاتحادهم في العقيدة، ولأن الاختلاف المذهبي لم يقم إلا بعد عصرهم.

سادساً: لم يُدَّون شيء من التفسير في هذا العصر.

---

١ – الذهبي، التفسير والمفسرون، ١ : ٤٩ .

٢ – الذهبي، المصدر نفسه،١ : ٣١.

سابعاً: اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً، بل كانت هذه التفسيرات تُروى منثورة لآيات متفرقة[١].

ثالثاً: التفسير في عهد التابعين:

وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله، اشتهر أيضاً بالتفسير أعلام من التابعين، تكلَّموا في التفسير، ووضَّحوا لمعاصريهم ما خفي عليهم من معانيه[٢].

مصادر التفسير في عهد التابعين:

وقد اعتمد هؤلاء المفسِّرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى[٣].

مدارس التفسير في عصر التابعين:

فتح الله على المسلمين كثيراً من بلاد العالَم في حياة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وفي عهود الخلفاء من بعده، ولم يستقروا جميعاً في بلد واحد من بلاد المسلمين، بل نأى الكثير منهم عن المدينة مشرق النور الإسلامى ثم استقر بهم النوى، موزَّعين على جميع البلاد التي دخلها الإسلام، وكان منهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلِّمون، ومنهم غير ذلك.

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التى رحلوا إليها، ما وعوه من العلم، وما حفظوه عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون[٤].

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسِّرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث، هي أشهر مدارس التفسير في الأمصار في هذا العهد[٥].

قال ابن تيمية: "وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء ابن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من

---

١ – الذهبي، المصدر نفسه، ١ : ٧٣.

٢ – الذهبي، المصدر نفسه، ١ : ٧٦ .

٣ – الذهبي، المصدر نفسه.

٤ – الذهبي، المصدر نفسه.

٥ – الذهبي، المصدر نفسه.

أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن، وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب" [١] وفيما يلي شيء من التفصيل:

١– مدرسة التفسير بمكة:

قامت مدرسة التفسير بمكة على يد عبد الله بن عباس –رضى الله عنهما–، فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يُفسِّر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه.

وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان اليمانى، وعطاء بن أبى رباح[٢].

٢– مدرسة التفسير بالمدينة:

كان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها ولم يتحوَّلوا عنها كما تحوَّل كثير منهم إلى غيرها من بلاد المسلمين، فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فقامت بالمدينة مدرسة للتفسير، تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسِّرين من الصحابة. ونستطيع أن نقول: إن قيام هذه المدرسة كان على يد أُبَى بن كعب، الذي يُعتبر بحق أشهر مَن تتلمذ له مفسِّرو التابعين بالمدينة، وذلك لشهرته أكثر من غيره في التفسير، وكثرة ما نُقل لنا عنه في ذلك.

وقد وُجِد بالمدينة في هذا الوقت كثير من التابعين المعروفين بالتفسير، اشتهر من بينهم ثلاثة، هم: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي[٣].

٣– مدرسة التفسير بالعراق:

قامت مدرسة التفسير بالعراق على يد عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه–، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، غير أن عبد الله بن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، نظراً لشهرته في التفسير وكثرة المروي عنه في ذلك[٤].

مميزات التفسير في هذه المرحلة:

يمتاز التفسير فى هذه المرحلة بالمميزات الآتية:

أولاً: دخل فى التفسير كثير من الإسرائيليات، وذلك كثرة مَن دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وأكثر من رُوى عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

---

١ – ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ١٩٨٠، مقدمة في أصول التفسير، ط١، بيروت لبنان: دار مكتبة الحياة، ص: ٢٤.

٢ – الذهبي، التفسير والمفسرون، ١ :٧٦ .

٣ – الذهبي، المصدر نفسه، ١ : ٨٦ .

٤ – ا الذهبي، المصدر نفسه، ١ : ٧١.

ثانياً: ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية، إلا أنه لم يكن تلقياً ورواية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبى –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليهما طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون –بوجه خاص– بالتلقى والرواية عن إمام مصرهم، فالمكيون عن ابن عباس، والمدنيون عن أُبَيّ، والعراقيون عن ابن مسعود ... وهكذا.

ثالثاً: ظهرت فى هذا العصر نواة الخلاف العقدي، فظهرت بعض تفسيرات تحمل فى طيَّاتها هذه الآراء.

رابعاً: كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم، وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسِّرين[١].

خامساً: كان التفسير في ذلك العهد مروياً بإسناد كل قول إلي صاحبه و نسبته إليه حتى تعرف الأقوال و يميز بين قويها و ضعيفها، و صحيحها و سقيمها.

سادسا: لاتساع الفتوحات الاسلامية ودخول كثير من العجم في الإسلام زادت الحاحة إلى تفسير كثير من الآيات التي لم يتناولها الصحابة –رضي الله عنهم– لظهور معناها عندهم، فزاد التابعون تفسير ما احتاج الناس إلى تفسيره، فأتموا التفسير وشمل القرآن كله[٢].

رابعاً: التفسير في عهد التدوين:

التدوين فى بداية الأمر كان خاصا بالقرآن الكريم، دون الحديث النبوى، حتى لا يلتبس شيء من القرآن بغيره، فلما أمن اللبس أباح النبي –صلى الله عليه وسلم– كتابة الحديث أيضا، وإذا أردنا أن نقف على بداية تدوين التفسير، وتطور هذا التدوين، فيجب أن نعلم أن تدوين التفسير كعلم مستقل عن الحديث، وليس كباب من أبوابه بدأ في مرحلة مبكرة، على أيدى التابعين، الذين جمعوا قدراً كبيراً منه على أيدي الصحابة، كسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن البصري وغيرهم.

فأما سعيد بن جبير فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الملك بن مروان سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار الهذلي في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير.[٣] وأما مجاهد فقد روى ابن جرير الطبري عن أبي مليكة قال: «رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله»[٤].

وأما أبو العالية– وهو رفيع بن مهران، أحد تلامذة ابن عباس وأبى بن كعب– فقد كتب نسخة فى التفسير عن أبيّ، بإسناد قال عنه السيوطى فى «الإتقان»: «وهذا إسناد صحيح». وقد أخرج من هذه النسخة جماعة من العلماء، كالإمام أحمد فى

---

١ – الذهبي، المصدر نفسه، ١ : ٩٧.

٢ – الرومي، بحوث في اصول التفسير، ص ص: ٣٣ – ٣٤ .

(٣) تهذيب التهذيب، ٥: ٥٦٦.

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى، ١: ٩٠.

مسنده، والحاكم في مستدركه، وغيرهما.[١] وأما الحسن البصرى، فقد جاء في «وفيات الأعيان»: أن شيخا من شيوخ المعتزلة، وهو عمرو بن عبيد كتب تفسيرا للقرآن عنه[٢].

وبهذا نستطيع أن نقول إن تدوين التفسير —مستقلاً عن الحديث– كان موجوداً قبل خلافة عمر بن عبد العزيز —رحمه الله–، ثم تأتي مرحلة ابن جريج، فقد كتب في التفسير ثلاثة أجزاء كبار، عن ابن عباس رضى الله عنهما[٣].

ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة أقرب إلى الشمولية لمعظم آيات القرآن الكريم، حيث كتب الفراء (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) كتابا في معاني القرآن، متتبعا آيات القرآن، حسب كتابتها في المصحف الشريف، كما ظهر تفسير ليحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، اهتم فيه بإيراد الأخبار وتعقبها بالنقد والاختيار، كما اهتم فيه بالنواحي الإعرابية والقراءات وتوجيهها[٤].

وما زال التفسير ينمو ويزدهر، حتى وصل إلى مرحلة الاستقصاء لكل آية من آياته، وظهر ذلك على أيدي مجموعة من العلماء، وكان من أشهرهم محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، وتفسيره يعتبر أقدم تفسير وصل إلينا، وابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ هـ، وابن مردويه المتوفى سنة ٤١٠ هـ، وغيرهم من الأئمة الفضلاء.

ومما يدل على كتابة التفسير في عصر الصحابة أيضاً ما روي أنه كتب رجل في عهد عمر —رضي الله عنه– مصحفاً، وكتب عند كل آية تفسيرها، فدعا به عمر فقرضه بالمقراضين[٥]. وسأل رجل سعيد بن جبير أن يكتب له تفسير القرآن، فغضب وقال: «لأن يسقط شقي أحب إلي من ذلك».[٦]

فهذه الروايات وإن كانت تدل على منع وكراهية الصحابة لكتابة التفسير، لكنها من ناحية أخرى تدل على وجود الكتابة في التفسير في ذلك العصر، ومن المعلوم أن إنكارهم لم يكن إلا خشية اختلاطه بالقرآن الكريم مما يؤدي إلى ضياعه، فلما حفظ القرآن واستقر بين الدفتين بإجماع الأمة وعلى رأسهم الصحابة –رضي الله عنهم– لم يكن بين العلماء خلاف في جواز كتابة العلوم وتدوينها[٧].

وثمة روايات أخرى من التابعين تدل على جواز كتابة التفسير في عهدهم، منها:

١ – طلب عبد الملك بن مروان من سعيد بن جبير أن يكتب له تفسير القرآن ففعل، فوضعه عبد الملك عنده في الديوان.

---

(١) السيوطي، الإتقان، ٢: ١٨٩.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣: ٤٦٢.

(٣) السيوطي، الإتقان: ٢: ١٨٨.

(٤) نص على هذا الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه التفسير ورجاله، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، ص: ٢٩.

(٥) ابن ابي شيبه، المصنف، ١٠: ٥١٣.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢: ٣٧١.

(٧) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٨: ١٣٠، و ابن حجر، فتح الباري، ١: ٢٠٨.

٢ – وعن سعيد بن جبير قال: «ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي، وربما أتيته فلم أكتب حديثاً حتى أرجع، لا يسأله أحد عن شيء»[١].

٣ – وكان عزرة [٢] يختلف إلى سعيد بن جبير معه التفسير في كتاب ومعه الدواة يغير[٣].

٤ – وعن ابن أبي مليكة قال: «رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله»[٤].

٥ – وكان تلاميذ مجاهد يكتبون التفسير عنده.

٦ – وجاء عن الحسن أنه أملى تفسير القرآن[٥].

٧ – وكتب رجل إلى عروة بن الزبير رحمه الله يسأله عن قول الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} [٦]، فكتب إليه بتفسيرها. [٧]

٨ – وكان لزيد بن أسلم كتاب في تفسير القرآن[٨].

بعد أن عرفنا أن كتابة التفسير كانت موجودة منذ عصر الصحابة فما معنى أقوال بعض العلماء حينما يقولون إن أول من صنف في التفسير هو ابن جريج؟ فمثلاً يقول الإمام الغزالي: أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد، وعطاء، وأصحاب ابن عباس –رضي الله عنهم– بمكة.[٩] وقال ابن تيمية: وَلَمْ يَكُونُوا يُصَنِّفُونَ

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦: ١٧٩.

(٢) هو عزرة بن عبد الرحمن الخزاعي الكوفي، روى عن أبي الشعثاء والشعبي، وعنه سليمان التيمي وقتادة، وثقه ابن معين وابن المديني، وخرج له مسلم. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩: ٩١.

(٣) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، ١٩٥٢، الجرح والتعديل، ط١، الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن، ٣: ٢١، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣: ٩٨.

(٤) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، ٢٠٠٠، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، ١: ٨٥.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١: ٧٤.

٦ – سورة الممتحنة: ١٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨: ٦، والطبري، جامع البيان، ٢٢: ٥٧٩.

(٨) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ٢٠٠٢، تاريخ بغداد، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩: ٢٨٢.

٩ – الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (د.ت)، إحياء علوم الدين ، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١ : ٧٩ .

ذَلِكَ فِي كُتُبٍ مُصَنَّفَةٍ إِلَى زَمَنِ تَابِعِ التَّابِعِينَ، فَصُنِّفَ الْعِلْمُ، فَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ ابْنُ جريج شَيْئًا فِي التَّفْسِيرِ وَشَيْئًا فِي الْأَمْوَاتِ[١].

وحينما ندقّق النظر في هذه الروايات نجد أن مراد هؤلاء العلماء من التأليف في التفسير هو التفسير الجامع ولجميع الآيات مراعياً أساليب التأليف الدقيقة، و يؤيد ما ذهبنا إليه قول الإمام الذهبي حيث يقول –رحمه الله–: في سنة ثلاث و أربعين (بعد المائة) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث و الفقه و التفسير فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن إسحاق المغازي وصنف أبو حنيفة –رحمه الله– الفقه والرأي ... وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة، والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة.[٢] والعبارة الأخيرة من كلام الإمام الذهبي تفيدنا بما يلي:

أولاً: أن هناك تأليف قبل هذه المرحلة[٣].

ثانيًا أن التأليف كان في تلك الآونه غير مرتب وغير شامل.

بعد هذا العرض نستطيع أن نقول إن التدوين في التفسير مرّ بمرحلتين أساسيتين هما:

أولاً : تدوين التفسير ضمن أبواب الحديث

ثانياً : تدوين التفسير بشكل مستقل

أولاً: تدوين التفسير ضمن أبواب الحديث:

دوّن في هذه المرحلة التفسير على أنه باب من أبواب الحديث كباب الطهارة وباب الصلاة وباب الزكاة وباب الحج وغيرها مع أن هناك من العلماء من ألفوا وأفردوا للتفسير تأليف خاص لا يتناول إلا سورة سورة وآية آية من أول القرآن إلى إخره. وممن دون التفسير في هذه المرحلة على أنه باب من أبواب الحديث:

- يزيد بن هارون السلمي (ت ١١٧هـ).
- شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ).
- عبد بن حميد (ت ٢٤٩هـ).

---

١ – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ١٩٩٥، مجموع الفتاوى، ط١، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة، ٢٠ :٣٢٢.

٢ – السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٥٢م، تاريخ الخلفاء، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ص: ٢٢٩.

٣ – ولا بد من التنبيه بأنه يمكننا أن نقول إن النواة الأولى من تدوين التفسير كان في زمن الصحابه، حيث كان لبعض الصحابة مصاحف لأنفسهم يكتبون فيها ضمن الآيات بعض ما يتعلق بتفسير الآية، وهذا الأمر وإن كان قليل و لكنه أمر مهم جداً قلّ من تنبّه له.

- محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ) ضمن صحيحه كتاب التفسير.
- مسلم بن حجاج النيسابوري (٢٦٣هـ) حيث أفرد في آخر صحيحه كتاب التفسير.
- أبو عيسى الترمذي حيث ضمن جامعه أبواب التفسير عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

وهكذا غير هؤلاء تتميز عملهم بمزايا منها:

١– كانت لهم عناية خاصة بالإسناد.

٢– لم يكن جمعهم للتفسير مستقلاً ، بل على أنه باب من أبواب الحديث.

٣– لم يقتصروا على التفسير المرفوع إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– بل اشتمل على تفسير الصحابي و التابعي أيضاً[١].

ثانياً: تدوين التفسير بشكل مستقل:

هناك جماعة من العلماء ألفوا في التفسير تأليفات مستقلة فمثلاً ألّف: مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) كتاباً في التفسير.[٢] وألف سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) كتاباً في التفسير.[٣] وألف وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ) كتاباً في التفسير.[٤] وألف يحيي بن سلام البصري (ت:٢٠٠هـ) كتاباً في التفسير. وألف ابن ماجة(ت:٢٧٣هـ) كتاباً في التفسير.

و يأتي تفسير الطبري –رحمه الله– أيضا ضمن هذه المرحلة إلا أن لتفسيره ميزات يتميز به عن غيره وقد تناولناه في مبحث مستقل فيما سبق.

وما تتميز به جهود هؤلاء العلماء:

١–أن ما دوّن فيها كان بالتفسير المأثور عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعن أصحابه و تابعيهم –رضي الله عنهم–.

٢–كان التفسير في تلك المرحلة بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير المروي عنه.

٣–لم تكن لهم عناية بالنقد و تحري الصحة في رواية الأحاديث في التفسير بل إن بعضهم ذكر ما روي في كل آية من صحيح و سقيم و لم يتحر الصحة كابن جريج، و يرجع السبب في ذلك إلى ذكرهم للإسناد فهم يكتفون بذكر الإسناد عن بيان درجة المروي على حد قول القائل من أسند فقد أبرأ ذمته.

٤–اتسعت رواية الإسرائيليات فدوّن الكثير منها ضمن التفسير[٥].

من أول من دوّن في التفسير؟

---

١ – فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص ص: ٣٥–٣٦.

٢ – طبع هذا الكتاب بدار الكتب العلمية بتحقيق أحمد فريد.

٣ – هذا التفسير من رواية أبي حذيفة النهدي عن سفيان ، و قد طبع بتحقيق: امتياز علي عرشي.

٤ – قال إبراهيم الحربي: لما قرأ وكيع التفسير، قال للناس: خذوه، فليس فيه عن الكلبي، ولا ورقاء شيء. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٥: ٦٧٣.

٥ – فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ص: ٣٦–٣٦.

وبعد عرض كل ما سبق مما يتعلق بتدوين التفسير، يبقى السؤال الذي يطرح نفسه، وهو: من أول من دوّن في التفسير؟ ولعل السؤال بهذا الشكل لا يكون دقيقاً حينما لم نجد معلومات دقيقة حول أول من دوّن في التفسير، لأن تدوين التفسير لم يكن بأمر رسمي كما كان أمر تدوين الحديث النبوي الشريف.

ولذا نرى العلماء يختلفون اختلافاً كبيراً حول أول من ألف في التفسير، فمنهم من جعل الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ) أول مدوّن للتفسير، ومنهم من جعل الفراء (ت ٢٠٧هـ) أول من دوّن في التفسير، ومنهم من قال إن مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) هو أول من دوّن التفسير، ولكل قول شواهد وأدلة، إلا أننا نلاحظ أن بعضا مما ذكر من التفاسير ليست كاملة، وبعضها ليست جامعة وشاملة لجيمع أو أكثر المباحث المتعلقة بالتفسير، ولذا يمكننا القول بأن الراجح في الجواب عن هذا السؤال أن أول من دوّن التفسير هو يحيى بن سلام التميمي البصري (ت ٢٠٠ هـ) وأنه أول مفسر بمعنى الكلمة، ذلك لما له من خصائص وميزات لا تكاد توجد فيمن سبقه من المفسرين، وسنتحدث عنه بنوع من التفصيل في الأسطر التالية:

تفسير يحى بن سلام:

جاء في كتاب التفسير والمفسرون للذهبي: " إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأوَّلية بين كتب التفسير، أوَّلية زمنية، وأوَّلية من ناحية الفن والصناعة.[١] و يعني بالأولية الزمنية أنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا لكن الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ذكر أن أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق هو تفسير يحيى بن سلام[٢].

والمقصود بكلام الشيخ أن هذه الأقدمية إنما هي باعتبار تناول المفسر جميع السور القرآنية بجميع آياتها بالبيان، وفق منهج جديد هو المنهج الأثري النظري، وهذا أمر واقع بالفعل، فإنه لم يذكر أحد أنه يوجد اليوم بين أيدي الناس تفسير أقدم من تفسير ابن سلام ألّف على هذا المنهج، وبهذا ندفع الاعتراض الذي الذي يقول إنه توجد تفاسير التابعين المطبوعة كاملة مثل تفسير مجاهد وهو تفسير يتعلق بجميع سور القرآن الكريم من سورة البقرة إلى سورة الناس.

لكن تناول الآيات في تفسير مجاهد ليست شاملة، فإنه لم يفسر من سورة الكهف مثلاً، و عدد آياتها ١١٠ آيات إلا ٣٨ آية و لم يفسر من سورة المؤمنون و عدد آياتها ١١٨ آيه إلا ٢١ آية. وبذلك فهو ليس تفسيراً شاملاً.

وكذالك الشأن في تفسير سفيان الثوري، فإن القطعة التي وصلتنا من هذا التفسير، و إن كانت مبتورة الأول والآخر، فإن تناول آيات السورة الواحدة فيه ليس مستوفياً، و كانت الآيات المفسرة فيه دون ما هو حاصل في تفسير مجاهد؛ لأنه لم يفسر من سورة الكهف سوى تسع آيات، ومن سورة المؤمنون سوى ١٤ آية. ويظهر أن الثوري كان قاصداً لذلك، فإنه لم يكن يعجبه أن يفسّر السورة من أولها إلى أخرها.

---

١ – الذهبي، التفسير والمفسرون، ١ :١٥٠.

٢ – ابن عاشور، محمد الفاضل، (د.ت) التفسير و رجاله، ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية. ص: ٤١.

أما الإمام يحيى بن سلام فقد تناول آيات القرآن الكريم كلها بالتفسير، ويعتبر هذا أمراً جديداً في تدوين التفاسير، وهو بذلك يعتبر أول مدوّن للتفسير بمعنى الكلمة.

إن هذا التفسير هو مؤسس طريقة التفسير النقدي أو الأثري النظري التي سار عليها من بعده ابن جرير الطبري. وكان الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور أول من نبّه إلى هذا بقوله: إن الحلقة التي يتم بها اتصال السلسلة وضاعت عن الكاتبين المحدثين قي تاريخ التفسير: من المستشرقين وغير المستشرقين، هي حلقة أفريقية تونسية، بالوقوف عليها يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جريج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مديناً له بذلك المنهج الأثري النظري الذي درج عليه في تفسيره العظيم.

إنما نعني بهذا تفسيراً جليلاً من صميم آثار القرن الثاني، وهو أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق، ألّف بالقيروان وروي فيها، وبقيت نسخته الوحيدة بين تونس والقيروان، وهو الذي يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي، أو الأثري النظري التي سار عليها بعده ابن جرير الطبري واشتهر بها. ذلك هو تفسير يحيى بن سلام التميمي البصري الأفريقي المتوفى سنة ٢٠٠هـ ، وهو تفسير يقع في ثلاثين جزءاً من التجزئة القديمة أي في ثلاث مجلدات ضخمة، مبني على إيراد الأخبار مسندة، ثم تعقبها بالنقد والاختيار فبعد أن يورد الأخبار المروية مفتتحاً إسنادها بقوله: "حدثنا" يأتي بحكمه الاختياري مفتتحاً بقوله: "قال يحيى" ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي، والتخريج الإعرابي ويندرج من اختيار المعنى إلى اختيار القراءة التي تتماشى وإياه، مشيراً إلى اختياراته في القراءة بما يقتضي أن له رواية أو طريقاً لا يبعد أن تكون راجعة إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، لأن يحيى بن سلام بصري النشأة، وإلى طريقه المختار في القراءة يشير في تفسيره بقوله: "والذي في مصحفنا".[١] وإليكم منهجه في الأسطر التالية:

إن ابن سلام و إن لم يكن يختلف فيه عن السابقين، فهو يعتمد مثلهم على الرواية بأسانيدها، و اللغة، و علوم القرآن لكنه أدخل عناصر جديدة لم نرها عند من سبقه ويمكن أن نبرز منها ما يلي:

١– تعدد الروايات في شرح الآية الواحدة . فهو في تفسير قوله تعالى: { أَهْلَ الذِّكْرِ }[٢] مثلاً يستعرض تفسير الحسن ، و تفسير قتادة ، و تفسير السدي.

و في تفسير قوله تعالى: {أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ }[٣] ذكر تفسيره ثم تفسيراً لمجهول، ثم تفسير قتادة ثم تفسير ابن مجاهد عن أبيه.

٢– التوسع في التفسير بذكر حكم شرعي، أو رفع إبهام أو سرد أحداث قصة، أو استعراض أحداث موقف يزيد الآية بياناً.

٣– الاهتمام بالإعراب و تعليله و كذلك بالتعليل في القراءات المختلفة.

٤– الاهتمام ببيان نظم الآية و أثر ذلك في المعنى.

---

١ – ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير و رجاله، ص: ٤٠.

٢– سورة النحل: ٤٣.

٣ – سورة الأنبياء: ٥.

٥- النقد والترجيح بين الأخبار التي تقدمها الرواية باستعمال عبارات دالة على ذلك كقوله: وبه يأخذ يحيى، أو قوله: وهو أعجب إلي، أو قوله: لا يأخذ به يحيى.

إن المنهج الذي اتبعه ابن سلام في تفسيره يبين النقلة النوعية التي حصلت في التفسير عموماً لذلك لا يمكن تصنيف كتابه بين التفاسير التي ظهرت قبله، فهو يمثل مرحلة تلت تلك التي توفرت في مثل تفسير مجاهد، و مهدت لظهور مرحلة ثالثة تجسمت بتميز في تفسير الطبري.

والذي يمكن تأكيده هو أن الطبري قد اطلع على تفسير ابن سلام، وقد يكون تم ذلك عند قدومه إلى مصر فأخذه عن بعض مشائخها، أو يكون قد حمل منه نسخة معه فتملي منها بعد رجوعه من رحلته.

والمقارنة بين تفسيري الطبري و ابن سلام تبرز الشبه واضحاً بينهما في المنهج، والروايات، وكثيراً ما يتفق الإسناد بينهما كما يتفق كلاهما في اختيار القراءة التي يتبناها.[١]

إن المقارنة بين تفسير الطبري و التفاسير السابقة تبرز فجوة كبرى بينها و بينه، و تجعل التواصل الزمني بينهما أمراً مستبعداً، فلا بد من ظهور مرحلة انتقالية تكون مواصلة لما تقدمها، ممهدة لظهور تفسير تكامل فيه المنهج و تعمقت فيه المباحث مثل تفسير الطبري.

المبحث الرابع: المقارنة الوجيزة بين تفسير الطبري وبين ما سبقه من تفاسير:

من التفاسير التي بلغتنا من القرون الثلاثة الأول يمكن أن نذكر النماذج الآتية:

١- تفسير مجاهد (ت: ١٠٤هـ).

٢- تفسير سفيان الثوري (ت ١٦١هـ).

٣- تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ).

٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني (ت: ٢١٠هـ).

٥- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة البصري المعروف بالأخفش (ت: ٢١٥هـ).

إن هذه العينة من التفاسير التي تم العثور عليها، و إن كانت قليلة العدد فإنها تمكن من ملاحظة أمرين هامين:

١- التأكد من مدى أمانة الطبري و نقله عن أصحابها.

٢- ملاحظة الفروق الموجودة بينها أولاً، و بينها و بين التفسير الطبري ثانياً.

أولاً : نقط الاتفاق و التباين بين التفاسير المذكورة:

إن المتأمل في هذه التفاسير يلاحظ أنها تتفق في بعض الخصائص و تختلف في البعض الآخر.

---

١ – شلبي، هند، ١٩٨٣، القراءات في إفريقيا من الفتح إلي منتصف القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العربية. ص ص: ٨١-٨٣.

تتفق هذه التفاسير في الخصائص الآتيه:

١- تناول السور بالتفسير وفق ترتيبها في المصحف.

٢- عدم تناول جميع آيات السور القرآنية بالتفسير.

٣- عدم الإطالة في تفسير الآيات.

أما نقطة الاختلاف بينها فإنها تظهر في:

١. اعتماد بعضها ذكر الأسانيد بين يدي الرواية اعتماداً مطلقاً إلا ما ندر، وممن اتبع هذا الأسلوب مجاهد، و قد يتخلف الإسناد عند الثوري.

٢. ومن بين الذين تخلوا عن ذكر الإسناد مطلقاً نذكر أبا عبيدة والأخفش.

٣. اعتماد الرواية، وعلوم اللغة، وعلوم القرآن أساسًا في بعض التفاسير كتفسيري مجاهد والثوري، والاقتصار على علوم اللغة والاستشهاد بالشعر العربي في البعض الآخر كما في تفسير أبي عبيدة و الأخفش.

إن هذه الخصائص المشتركة والمختلفة بين التفاسير الأولى لا يمكن التسليم بها مطلقًا و لا تتأكد إلا بالوقوف على عدد أكبر من تفاسير تلك الفترة وحينئذ يمكن الخروج بالقواعد وتعميم النتائج.

بين الطبري و التفاسير السابقة:

لاحظنا فيما سبق وجود فروق بين التفاسير السابقة على الطبري، فإذا قارنا بينها و بين تفسير الطبري فإننا نلاحظ ما يلي:

١-اتفق الطبري مع التفاسير السابقة على تناول السور وفق ترتيبها في المصحف.

٢-تناول الطبري جميع الآيات بالتفسير بينما اهتم من قبله بما هو محل إشكال منها فحسب.

٣-التزم الطبري بذكر الإسناد كاملاً كما هو الشأن في تفسير مجاهد غالبًا.

٤-جاءت الروايات في تفسير الطبري طويلة مفصلة بينما نراها تتسم بالاختصار الشديد في التفاسير السابقة.

٥-رأينا أنه من التفاسير القديمة ما اختص بالجانب الروائي، فكان الاهتمام فيها يتمثل في تحديد المعنى اللغوي للألفاظ، وذكر القراءات، أو ما جاء في الآية من سبب نزول، أو تحديد نسخ، أو بيان مبهم...

أما التفاسير ذات الطابع اللغوي البلاغي فإن الاهتمام فيها كان باللغة مع بيان مجازات العرب في استخدامها، وتدعيم ذلك بالاستشهاد بالشعر العربي خاصة، و بالمقارنة مع تفسير الطبري في هذا المجال نرى الطبري قد تبنى هذين المنهجين ووظفاهما معًا في تفسيره.

أضاف الطبري عنصرًا يكاد يكون مفقودًا لدى الجميع وهو عنصر النقد الذي يميز به بين الأقوال المختلفة، فيجيز ما يراه الأقرب إلى الصواب معللاً اختياره بحجج نصية، أو علمية، أو منطقية.

الخاتمة:

وبعد المعايشة مع هذا الموضوع الرائع عدة أيام مباركات والبحث والتنقيب في أبعاده المختلفة، توصلنا إلى عدة نتائج نستخلصها فيما يلي:

- إن علم التفسير من أجلّ العلوم وأفضلها، ومن العلوم المهمة لفهم كتاب الله تعالى؛ ولذا أولى سلفنا –رضوان الله عليهم أجمعين– هذا العلم اهتماماً كبيراً.
- إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يعتبر المفسر الأول للقرآن الكريم، وأول من قام بتفسير كلام الله تعالى وأفضله على الإطلاق، وكان يفسر القرآن الكريم ويبيّنه للصحابة ابتداء وعند السؤال عما أشكل عليهم فهمه.
- لقد مرّ التفسير بمراحل عدة، منذ نشأته فقد كان في عصر النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين على طريق المشافهة، ولم يكونوا يكثرون من التدوين والتأليف.
- إن الإمام الطبري –رحمه الله– من أبرز أئمة التفسير، ويعتبر تفسيره من أجلّ وأعظم التفاسير التي بلغنا من القرون الأولى.
- يعتبر الإمام الطبري –رحمه الله– منفرداً في منهجه في التفسير، لم يسبقه أحد إلى هذا المنهج المتبع عنده، فهو في نفس الوقت جمع في تفسيره عدة اتجاهات كالأثري والنظري واللغوي والفقهي وغيرها.
- يتميز منهج الإمام الطبري بالترجيح بين الأقوال والنقد والاستدلال وتوجيه القراءات والأقوال.
- إن لتفسير الصحابة والتابعين مميزات خاصة لا توجد في التفاسير التي بعدها منها: عدم ظهور التعصب المذهبي آنذاك، وعدم وجود تأثير الآراء السياسية على التفسير، وعدم الاسترسال فيما لا طائل تحته.
- اشتهر من الصحابة جماعة كبيرة في التفسير، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة ثم ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم –رضي الله عنهم–.
- مصادر التفسير لدى الصحابة والتابعين هي القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد وأقوال الصحابة ومسلمة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.
- ابتدأ تدوين التفسير ضمن كتب الحديث كباب من أبوابه لدى بعض المحدثين، ثم استقل منها في كتب مستقلة لها طابع كتب التفسير.
- كانت مدارس التفسير منتشرة في بعض المدن الإسلامية في عهد التابعين كمكة والمدينة والعراق.
- لا نستطيع أن نجزم أن فلاناً هو أول من دوّن التفسير، لكننا نستطيع أن نقول: إن تدوين التفسير كان مبكراً منذ عهد الصحابة والتابعين، وقد نسب إلى جماعة كبيرة من التابعين كتباً في التفسير وطبع بعضاً منها.
- إن ثمة تشابهاً بين منهج الطبري ومنهج الإمام يحيى بن سلام، ولذا فإن تفسير يحيى بن سلام يعتبر حلقة ممهدة لتفسير الطبري ويعتبر نقطة وصل بين مرحلة التفاسير السابقة كمجاهد وغيره وبين التفاسير اللاحقة كالطبري وغيره.

الاقتراحات والتوصيات:

وفيما يلي نذكر بعض الاقتراحات والتوصيات تجاه هذا الموضوع:

- نأمل الباحثين والعلماء الأفاضل في أن يراجعوا التفاسير والكتب المتعلقة بعلوم القرآن التي ألفت قبل الإمام الطبري، ويقارنوها بتفسير الإمام الطبري، ثم يظهروا مدى تأثره بها من حيث الشكل والمحتوى.
- نرجو الباحثين والمحققين الأكارم بالبحث والتنقيب عن المؤلفات والكتب المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن في القرون الثلاث الأول وبيان منهجيتها، ومحتوياتها.

المراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، الجرح والتعديل، ط١، الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى، ط١، المملكة العربة السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مقدمة في أصول التفسير، ط١، بيروت لبنان: دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠هـ ١٩٨٠م.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، تهذيب التهذيب، ط١، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، (د.ت) التفسير و رجاله، ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جامع البيان وفضله، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، ط١، بيروت لبنان: دار الفكر العربي، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ط١ بيروت لبنان: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- ابو عبيد قاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي ، فضائل القرآن، ط ١، بيروت لبنان: دار ابن كثير، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
- الأدنوي، أحمد بن محمد الأدنه وي، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم– السعودية، ١٤١٧هـ ١٩٩٧.

- البهاري، محب الله بن عبد الشكور، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ط ، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ بغداد، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م.
- الداوودي ، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، (د.ت)، طبقات المفسرين، ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، ط٣ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.
- الذهبي، محمد السيد حسين(د.ت)، التفسير و المفسرون، ط١ ، القاهرة مصر: مكتبة وهبة.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ط١ بيروت لبنان: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ط١ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ط١، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
- شلبي، هند ، القراءات في إفريقيا من الفتح إلي منتصف القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العربية، ١٩٨٣م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (د.ت)، إحياء علوم الدين ، ط١، بيروت: دار المعرفة.
- الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، المعرفة والتاريخ، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
- فهد الرومي: بحوث في اصول التفسير الرومي، بحوث في اصول التفسير ومناهجه، ط٤ الرياض: مكتبة التوبة. ١٤١٩هـ.
- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٨، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.